مُحَمَّد عَطِيَّة الإبراشي

# قِصَّةُ أُمِّ المؤمِنينَ

# السَّيِّدةِ خَدِيجَة

رَضِيَ اللهُ عَنْها

قِصَصٌ إسْلامِيَّة لِلأطفال

ملتزمة الطبع والنشر

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

# قِصَّةُ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ

بُنَيَّ العَزِيز

سَأَذْكُرُ لَكَ الآنَ قِصَّةَ أُمِّ المؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْها :

كانَ فِي مَكَّةَ سَيِّدَةٌ شَرِيفَةٌ جَمِيلَةٌ، غَنِيَّةٌ كَثِيرَةُ المالِ، تَزَوَّجَتْ حِينَما بَلَغَتْ سِنَّ الزَّواجِ، ثُمَّ ماتَ زَوْجُها. وَكانَتْ تُسَمَّى "الطَّاهِرَةَ" قَبْلَ الإِسْلامِ وَبَعْدَ الإِسْلامِ.

وَجَدَت السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ أَنَّ عِنْدَها مالًا كَثِيرًا، فَلَمْ تَتَّكِلْ عَلَيْهِ، بَلْ فَكَّرَتْ فِي أَحْسَنِ الطُّرُقِ لِلانْتِفاعِ بِهِ، وَرَأَتْ أَنَّ التِّجارَةَ أَشْرَفُ وَسِيلَةٍ

(لِاسْتِثْمارِ) مالِها . وَلٰكِنْ مَنِ الَّذى يَتَّجِرُ لَها ؟

وَذاتَ يَوْمٍ قالَتْ لِأَحَدِ أَقارِبِها : إِنِّى أُرِيدُ تاجِرًا أَمِينًا فى مُعامَلَتِهِ ، يَأْخُذُ بِضاعَتِى إِلَى بِلادِ الشّامِ ، وَيَبيعُها هُناكَ بَدَلًا مِنِّى ، وَيَشْتَرِى بِضاعَةً يَبيعُها هُنا .

فَقالَ لَها : لَيْسَ فى مَكَّةَ أَحَدٌ أَكْثَرُ أَمانَةً مِنْ مُحَمَّدٍ . وَهُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ طُفولَتِهِ بِالصِّدْقِ وَالْأَمانَةِ وَالإِخْلاصِ ، وَالنَّشاطِ وَالزُّهْدِ وَالصَّلاحِ .

اِخْتارَتْ خَدِيجَةُ مُحَمَّدًا ، وَأَعْطَتْهُ مالَها وَتِجارَتَها ، وَأَمَرَتْ غُلامَها مَيْسَرَةَ أَنْ يَكونَ رَفِيقًا لَهُ فى سَفَرِهِ .

سافَرَ مُحَمَّدٌ بِتِجارَةِ خَدِيجَةَ إِلَى الشّامِ ، فَباعَ ما كانَ مَعَهُ مِنَ الْبِضاعَةِ ، وَاشْتَرَى ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ مَكَّةَ مِنَ الْبِضاعَةِ .

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ وَمَعَهُ مَيْسَرَةُ ، فَأَعْطَى السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ ما اشْتَراهُ مِنْ بِضاعَةٍ ، وَما كَسَبَهُ مِنَ الْمالِ ،

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ حامِدًا شاكِرًا .

وَأَخَذَ مَيْسَرَةُ غُلامُ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ يَقُصُّ عَلَيْها ما رَآهُ مِنَ العَجائِبِ فِى رِحْلَتِهِ . وَقالَ لَها : إِنَّنا لَمْ نُحِسَّ حَرارَةَ الشَّمْسِ ، وَنَحْنُ راكِبُونَ الْجِمالَ فِى الطَّرِيقِ ، فَقَدْ كانَتْ فَوْقَنا غَمامَةٌ ـ وَهِىَ سَحابَةٌ كَبِيرَةٌ ـ كَالْمِظَلَّةِ تَمْنَعُ عَنَّا حَرَّ الشَّمْسِ طُولَ الطَّرِيقِ ، وَتَتْبَعُنا فِى كُلِّ مَكانٍ نَسِيرُ فِيهِ ، وَهِىَ مِثْلُ الشَّمْسِيَّةِ الَّتِى نَرْفَعُها بِأَيْدِينا فِى الصَّيْفِ فَوْقَ رُءُوسِنا . ثُمَّ قابَلْنا فِى طَرِيقِنا راهِبًا[1] مِنَ النَّصارَى فِى الشَّامِ . فَوَقَفَ مُدَّةً طَوِيلَةً يَنْظُرُ إِلَى مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ مُعْجَبٌ بِهِ كُلَّ الإِعْجابِ . ثُمَّ سَأَلَنِى بَعْدَ أَنْ رَأَى السَّحابَةَ الكَبِيرَةَ فَوْقَ مُحَمَّدٍ دائِمًا : مَنْ ذٰلِكَ الشَّابُّ ؟ فَأَجَبْتُهُ : هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِب ،

(١) الرَّاهِبُ : هُوَ رَجُلٌ مُتَعَبِّدٌ مِنَ المَسِيحِيِّينَ .

وَأُسْرَتُهُ[1] أَشْرَفُ أُسْرَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ .

فَقالَ لِي الرَّاهِبُ : ذٰلِكَ نَبِيٌّ ، وَهُوَ أَعْظَمُ الأَنْبِياءِ ، وَخاتَمُ الرُّسُلِ ، يُرْسِلُهُ اللّٰهُ بِدِينٍ كامِلٍ . اِحْذَرْ وَاحْتَرِسْ أَنْ يَعْرِفَهُ الْيَهُودُ ؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ مَكِيدَةً أَوْ يُؤْذُوهُ !

وَحِينَما ذَهَبْنا إِلَى السُّوقِ لِنَبِيعَ ما مَعَنا وَنَشْتَرِيَ ما نُرِيدُهُ كانَ مَثَلًا عالِيًا لِلسَّماحَةِ وَكَرَمِ الأَخْلاقِ ، وَاللُّطْفِ وَالصِّدْقِ وَالأَمانَةِ . لَمْ يُحاوِلْ مُطْلَقًا أَنْ يَغُشَّ أَحَدًا ، وَلَمْ يَطْلُبْ كَسْبًا أَوْ رِبْحًا لاحَقَّ لَنا فِيهِ .

وَكانَ يَرْفُقُ[2] بِي ، وَيَعْطِفُ عَلَيَّ ، وَيُحْسِنُ مُعامَلَتِي ، وَيَتَحَدَّثُ مَعِي حَدِيثَ سَيِّدٍ نَبِيلٍ مُتَواضِعٍ لايَتَكَبَّرُ ، طاهِرِ الْقَلْبِ ، طَيِّبِ النَّفْسِ .

سَمِعَتْ خَدِيجَةُ مِنْ غُلامِها مَيْسَرَةَ ما سَمِعَتْ ،

---

(١) (عائِلَته) . (٢) يَرْأَفُ .

فَأُعْجِبَتْ بِهِ فى نَفْسِها الإِعْجابَ كُلَّهُ ، وَقالَتْ :
إِنَّهُ لامَثيلَ لَهُ بَيْنَ الْعَرَبِ فى خُلُقِهِ وَأَمانَتِهِ ،
وَصِدْقِهِ وَبَرَكَتِهِ ، وَنُبْلِهِ وَزُهْدِهِ وَقَناعَتِهِ .
وَكانَ لِلسَّيِّدَةِ خَديجَةَ صَديقَةٌ مُخْلِصَةٌ وَفِيَّةٌ
اِسْمُها نَفيسَةُ . فَقالَتْ لَها صَديقَتُها نَفيسَةُ :
لَقَدْ خَطَبَكِ كَثيرُونَ مِنْ عُظَماءِ مَكَّةَ ، وَقَدَّمُوا لَكِ
كَثيرًا مِنَ المْالِ ، فَرَفَضْتِ أَنْ تَتَزَوَّجى أَحَدًا مِنْهُمْ .
وَأَعْتَقِدُ أَنَّ مُحَمَّدًا أَحْسَنُ مِمَّنْ تَقَدَّمُوا إِلَيْكِ جَميعًا ،
وَهُوَ أَعْظَمُهُمْ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ ؛ لِأَنَّهُ زاهِدٌ لايُفَكِّرُ
فى مالٍ . فَهَلْ تَرْضَيْنَهُ زَوْجًا لَكِ ياخَديجَةُ ؟ وَقَدْ
سَمِعْتِ ماقالَهُ الرَّاهِبُ عَنْهُ . فَسَأَلَتْها خَديجَةُ :
هَلْ تَكَلَّمَ مَعَكِ مُحَمَّدٌ فى الزَّواجِ يانَفيسَةُ ؟
فَأَجابَتْ نَفيسَةُ : أَنا أَتَكَلَّمُ مَعَهُ فى ذٰلِكَ إِذا رَغِبْتِ .
فَقالَتْ لَها خَديجَةُ : تَحَدَّثى مَعَهُ فى ذٰلِكَ ، ثُمَّ أَخْبِريني

بِما يَقولُهُ لَكَ .

ذَهبَتْ نَفِيسَةُ إِلَى مُحَمَّدٍ ، وَقالَتْ لَهُ : يا مُحَمَّدُ ، ما الَّذِى يَمْنَعُكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ ؟ أَجابَ مُحَمَّدٌ : لَيْسَ بِيَدِى مالٌ أَتَزَوَّجُ بِهِ .

قالَتْ نَفِيسَةُ : فَإِنْ كَفَيْتُكَ ذٰلِكَ ، وَدُعِيتَ إِلَى الشَّرَفِ وَالكَفاءَةِ وَالْمالِ والْجَمالِ أَلَا تُجِيبُ ؟

قالَ مُحَمَّدٌ : فَمَنْ هِىَ ؟

قالَتْ نَفِيسَةُ : هِىَ خَدِيجَةُ الطَّاهِرَةُ .

قالَ مُحَمَّدٌ : وَكَيْفَ لِى بِذٰلِكَ وَأَنا فَقِيرٌ وَهِىَ كَثِيرَةُ الْغِنَى ؟

قالَتْ نَفِيسَةُ : إِنَّها لا تُفَكِّرُ فى مالٍ ، وَلَيْسَتْ فى حاجَةٍ إِلَى الْمالِ . وَلٰكِنَّها تُفَكِّرُ فى عَظَمَتِكَ الْخُلُقِيَّةِ ، وَعَظَمَتِكَ الْعَقْلِيَّةِ ، وَشَخْصِيَّتِكَ الكامِلَةِ ، وَنَفْسِكَ الشَّرِيفَةِ ، وَرُوحِكَ الطَّاهِرِ ، وَنُبْلِكَ النَّادِرِ .

فَرِحَ مُحَمَّدٌ بِما ذَكَرَتْهُ لَهُ صَدِيقَتُها نَفِيسَةُ ، وَسُرَّتْ خَدِيجَةُ بِما سَمِعَتْ . وَعَزَمَ مُحَمَّدٌ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَخْطُبَ خَدِيجَةَ لِتَكُونَ زَوْجَتَهُ وَشَرِيكَتَهُ فِي حَياتِهِ .

قالَ مُحَمَّدٌ لِأَعْمامِهِ إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَخْطُبَ خَدِيجَةَ ، فَوافَقُوا عَلَى أَنْ يَتَزَوَّجَها . وَأَرْسَلَتْ إِلَى عَمِّها عَمْرو بْنِ أَسَدٍ ، وَأَخْبَرَتْهُ الْخَبَرَ ؛ لِأَنَّ أَباها كانَ مَيِّتًا .

وَجاءَ أَعْمامُ الرَّسولِ يَتَقَدَّمُهُمْ عَمُّهُ أَبو طالِبٍ ، فِي وَقْتٍ مُحَدَّدٍ بَيْنَ أُسْرَتِهِ "عائِلَتِهِ" وَأُسْرَتِها .

وَقالَ عَمُّها : اِشْهَدُوا يا عُظَماءَ قُرَيْشٍ أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ . وَشَهِدُوا عَلَى ذٰلِكَ ، وَهَنَّأُوهُما أَصْدَقَ تَهْنِئَةٍ ، وَرَجَوْا لَهُما زَواجًا سَعِيدًا .

وَقالَتْ خَدِيجَةُ الْمُحْسِنَةُ الْكَرِيمَةُ لِمُحَمَّدٍ : اِذْهَبْ

وَاذْبَحْ جَمَلَيْنِ ، وَأَطْعِمِ النَّاسَ وَالْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ. فَفَعَلَ .

وَسَعِدَ مُحَمَّدٌ بِخَدِيجَةَ، وَسَعِدَتْ خَدِيجَةُ بِمُحَمَّدٍ. وَفَرِحَ أَبُوطَالِبٍ فَرَحًا كَثِيرًا ، وَحَمِدَ اللَّهَ كُلَّ الْحَمْدِ. وَكَانَتْ حَيَاتُهُمَا سَعِيدَةً مُوَفَّقَةً ، كُلُّهَا مَحَبَّةٌ وَتَعَاوُنٌ ، وَوَفَاءٌ وَإِخْلَاصٌ .

وَالسَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ أَوَّلُ زَوْجَةٍ تَزَوَّجَهَا الْمُصْطَفَى وَعُمْرُهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَعُمْرُهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً . وَلَمْ يَتَزَوَّجْ قَبْلَهَا وَلَا عَلَيْهَا حَتَّى مَاتَتْ .

وَقَدْ وَلَدَتْ لَهُ أَوْلَادَهُ جَمِيعًا ، وَهُمْ : الْقَاسِمُ وَعَبْدُ اللَّهِ[١] ، وَزَيْنَبُ ، وَرُقَيَّةُ ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ ، وَفَاطِمَةُ. أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَقَدْ كَانَ مِنْ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ[٢] .

وَذَاتَ يَوْمٍ ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمَلَكُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،

(١) قَدْ مَاتَا وَهُمَا طِفْلَانِ .   (٢) الَّتِي أَهْدَاهَا الْمُقَوْقِسُ إِلَى النَّبِيِّ .

لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، وَقالَ لَهُ : اِقْرَأْ . فَقالَ لَهُ الرَّسُولُ : إِنِّى لا أَعْرِفُ الْقِراءَةَ وَالكِتابَةَ .

فَقالَ لَهُ جِبْرِيلُ : " اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ[1] . اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ . "

لَمْ يَعْتَدِ الرَّسُولُ نُزُولَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ فارْتَعَدَ وَرَجَعَ إِلَى خَدِيجَةَ وَهُوَ أَصْفَرُ اللَّوْنِ ، وَأَخْبَرَها بِما حَدَثَ ، فَوَقَفَتْ بِجانِبِهِ وَطَمْأَنَتْهُ وَقالَتْ لَهُ : " أَبْشِرْ فَوَاللهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا . إِنَّكَ تَعْطِفُ عَلَى الْأَقارِبِ ، وَتُحْسِنُ إِلَيْهِمْ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتُساعِدُ الْمُحْتاجَ وَالْيَتِيمَ ، وَتُكْرِمُ الضَّيْفَ ، وَتُؤَدِّى الْأَمانَةَ . "

ثُمَّ ذَهَبَتْ بِهِ إِلَى ابْنِ عَمِّها ، فَقَصَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ الْعَظِيمُ قِصَّتَهُ .

---

(١) جمع عَلَقَة وهى القِطعَةُ اليَسِيرَةُ مِنَ الدَّمِ الغَلِيظ .

فَقالَ لَهُ: إِنَّ الَّذِى نَزَلَ عَلَيْكَ هُوَ الْمَلَكُ جِبْرِيلُ الَّذِى كانَ يَنْزِلُ عَلَى مُوسَى. وَإِنَّكَ نَبِىُّ هٰذِهِ الْأُمَّةِ. فَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ كُلَّ الِاطْمِئْنانِ.

وَقَدْ مَكَثَ الرَّسُولُ الْأَمِينُ ثَلاثَ سَنَواتٍ يَدْعُو قَوْمَهُ سِرًّا لِعِبادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ. ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلامِ جَهْرًا[1] وَعَلَنًا. فَدَعا إِلَى دِينِ اللَّهِ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ.

فَآذاهُ قَوْمُهُ كُلَّ الْإِيذاءِ، وَهَزِئُوا بِهِ، وَابْتَعَدَ عَنْهُ أَقارِبُهُ، وَصَبَرَ صَبْرًا كَثِيرًا عَلَى أَذاهُمْ، وَاسْتَمَرَّ فِى دَعْوَتِهِ وَتَبْلِيغِ رِسالَتِهِ. وَكانَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ تُساعِدُهُ كُلَّ الْمُساعَدَةِ حَتَّى نَجَحَ فِى أَداءِ رِسالَتِهِ كُلَّ نَجاحٍ. وَتَحَمَّلَتِ الْأَذَى مِنْ أَجْلِهِ، وَلَمْ تَشْكُ أَلَمًا وَلاضَجَرًا[2]. وَعاوَنَتْهُ بِمالِها وَنَفْسِها.

---

(١) جَهَرَ بِالْقَوْلِ: رَفَعَ بِهِ صَوْتَهُ. (٢) الضَّجَرُ: القَلَقُ مِنَ الغَمِّ.

وَأَتَى جِبْرِيلُ فَعَلَّمَ النَّبِيَّ الْوُضُوءَ وَالصَّلاةَ ، فَأَتَى خَدِيجَةَ وَعَلَّمَها ذٰلِكَ ، فَتَوَضَّأَتْ كَوُضُوئِهِ ، وَصَلَّتْ كَصَلاتِهِ ، وَلَمْ تُعارِضْهُ فِي شَيْءٍ ، بَلْ فَعَلَتْ ما أَمَرَ بِهِ ، وَقَبِلَتْ إِرْشادَهُ وَنُصْحَهُ ، وَعَمِلَتْ كُلَّ ما أَرادَهُ ، وَالنَّاسُ مُعْرِضُونَ عَنْهُ ، وَناقِمُونَ(١) عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ دَعْوَتِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى الْإِسْلامِ .

وَكانَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ خَدِيجَةَ بِكُلِّ خَيْرٍ طُولَ حَياتِهِ ، وَمِنْ أَقْوالِهِ عَنْها : " آمَنَتْ بِي إِذْ(٢) كَفَرَ النَّاسُ . وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ . وَواسَتْنِي فِي مالِها إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ . وَرَزَقَنِي اللّٰهُ مِنْها الْوَلَدَ دُونَ غَيْرِها مِنَ النِّساءِ .

وَهِيَ خَيْرُ قُدْوَةٍ(٣) لِلْفَتَياتِ وَالسَّيِّداتِ .

---

(١) نَقَمَ عَلَيه : عَتَبَ عَلَيه ، وَنَقَمَ الأمرَ : كَرِهَهُ .

(٢) وقتَ أن ، حِينَما . (٣) خيرُ مَثَل .